دروس في مقياس: مدخل إلى الأدب المقارن (محاضرات) **أستاذ المقياس:د/زهرة طويل**

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الثانية ليسانس LMD **التخصص:أدب عربي**

المعامل:02 **الرصيد:03**

البريد الالكتروني: touilzahra2016@gmail.com

المحاضرة الأولى: الأدب المقارن : المفهوم والنشأة والتطور1

أهداف المحاضرة:

- محاولة فك الالتباس الحاصل على صعيدي المفهوم والمصطلح المتعلق بالأدب المقارن.
- محاولة فك الالتباس الحاصل بين مصطلح الأدب المقارن والأدب العام والأدب العالمي.
- التعرف على نشأة الأدب المقارن وتطوره

أقسام المحاضرة:

أولا:– إشكالية مصطلح الأدب المقارن.

ثانيا: إشكالية مفهوم الأدب المقارن.

ثالثا– إرهاصات الأدب المقارن .

رابعا– النشأة وأسبابها.

خامسا– تطور الدراسات المقارنة.

- **من المتوقع في نهاية هذه المحاضرة أن يكون الطالب قادرا على :**

- التمييز بين مباحث الدرس المقارن وتصنيفها ضمن مجالها المخصص لاستجلاء أهمية الأدب المقارن ومنهجه

- **المعارف المسبقة المطلوبة لفهم المحاضرة :**

– يستوجب على الطالب كعنصر فعال في العملية التعليمية التعلمية، إدراك مفاهيم سابقة نحو :تاريخ الأدب، النقد الأدبي وعلاقته بالجمالية، الفرق بين الموازنة، وأسلوب المقارنة،

➢ مراجع المحاضرة :

1- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن نهضة مصر للطباعة والنشر،ط3،أكتوبر 2004.

2- سعيد علوش ، مدارس الأدب المقارن دراسة منهجية

3- حسام الخطيب ، الأدب المقارن عربيا وعالميا،

4-م.ف. غويار، الأدب المقارن ، ترجمة محمد غلاب

5- أحمد محمد علي حنطور،في الأدب المقارن، نحو تأصيل مدرسة عربية في المقارنة،مكتبة الآداب،القاهرة، ط 2 ،2008.

6- بول فان تيغم: الأدب المقارن،تر، سامي مصباح الحسامي ، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، دط ، دت

➢ نص المحاضرة:

أولا- في إشكالية المصطلح والمفهوم: سننطلق بداية من مقولة فولتير: " قبل أن تتحدث معي حدد مصطلحاتك"، ذلك أن تحديد المصطلح يشكل أحد الأركان الرئيسية في فهم العلوم، وبخاصة مصطلح (الأدب المقارن)، الذي يعد مصطلحا خلافيا وهو أحد أهم أسباب الإشكالية أو الأزمة التي طرحها الأدب المقارن ومازال يطرحها منذ نشأته الأولى إلى يومنا هذا.

➢ إشكالية مصطلح الأدب المقارن :

أ- إشكالية التسمية في الأدب المقارن:

تعود إشكالية التسمية (الأدب المقارن)، إلى اختلاف المنظور الذي يضع على أساسه النقاد ومؤرخو الأدب المصطلحات والتسميات المتعلقة بهذا البحث الأكاديمي منذ نشأته الأولى. فإذا كانت المقارنة عبارة عن إجراءات منهجية علمية تؤدى وفق مقولات نقدية وجمالية معينة ، يمكن ضبطها وتأطيرها والسيطرة عليها، فإن الأدب هو عمليات إبداعية وفنية وجمالية لا يمكن التنبؤ بها ولا حصرها بقواعد علمية صارمة .من هنا ، فإن هذه التسمية(الأدب المقارن) لم تحظ بالمشروعية العلمية في بداية نشأتها ،وعدَت –بإجماع الآراء- ضعيفة الدلالة على المقصود منها وعلى ما يجري وما يعقد داخل حقل الأدب المقارن من مقارنات، وقد اعترف شيخ الأدب المقارن

"**بول فان تيغم**،أن هذا المصطلح (الأدب المقارن) غير دقيق الدلالة على موضوعه ،وأن هناك تعابير أخرى أصح وأوضح"[1]، لذلك اقترحت تسميات بديلة أكثر دقة وعلمية ،من بين التسميات التي اقترحت[2]:

- **الآداب الحديثة المقارنة**، وهو الاسم الرسمي لعدد من المنابر الجامعية وحلقاتها الدراسية، ولعدد من شهادات الإجازة (الليسانس) التي تحضرها في التخصص الأدبي.

–تاريخ الأدب المقارن ،وقد استعمله الرائدان **جوزيف تست** و **جان جاك أمبير**، ويعود إلى عام 1832.

– التاريخ الأدبي المقارن ، **التاريخ المقارن للآداب، تاريخ الآداب المقارن وتاريخ المقارنة.**

ومن التسميات التي اقترحت ، في وقت مبكر ، والتي دلت دلالة دقيقة على المقصود بهذا البحث الأدبي، مصطلح (**تاريخ العلاقات الأدبية الدولية**) الذي اقترحه ماريوس فرنسوا غويار. ونلاحظ أن كل هذه التسميات تشير إلى الهوية التاريخية للمقارنة الأدبية.

إن مصطلح الأدب المقارن تعبير ناقص وضروري معا،لأن استعماله يعود إلى قرن مضى، ولم يعد ممكنا أن يترك مكانه لتعبير آخر أقل حيرة وأدنى غموضا، لأن التسميات المقترحة كبديل ،إما بالغة الطول ،أو موغلة في التجريد ، وفي كل الأحوال لم تنجح في أن تفرض نفسها"[3] ولم تلق الرواج والشيوع الذي عرفه مصطلح (الأدب المقارن) وضل هو المصطلح المتواضع عليه، لسهولته وإيجازه. وهو ما عبر عنه الدكتور حسام الخطيب في قوله:" وقد انقضى الآن أكثر من قرن ونصف على الاستعمال الأول لمصطلح (الأدب المقارن)، وتعرض هذا الحقل المعرفي خلال هذه المدة لمناقشات واتجاهات وانقسامات،ولكن المصطلح نفسه أثبت فعاليته،وثبت أن وضع مصطلح بديل أمر بالغ الصعوبة بسبب هذه الخلافات على الأقل."[4] ،وهو أيضا ماعبر عنه محمد غنيمي هلال في قوله:" أن تسميته بالأدب المقارن فيها إضمار،إذ كان أولى أن يسمى ((التاريخ المقارن للآداب)) أو((تاريخ الأدب المقارن))، ولكنه اشتهر باسم الأدب المقارن .وهي تسمية ناقصة في مدلولها، ولكن إيجازها سهّل تناولها، فغلبت على كل تسمية أخرى"[5]

---

[1]– حسام الخطيب : آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا،دار الفكر المعاصر، بيروت ،لبنان ، دار الفكر، دمشق ، سوريا ، ط2 ، 1999 ، ص 21.

2 – المرجع نفسه ، ص 22.

[3] - ينظر، الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه،ص 194

[4] – حسام الخطيب مرجع سابق،ص 23.

[5] – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن،نهضة مصر للطباعة والنشر،ط3،أكتوبر 2004،ص10.

وهكذا كان لهذا المصطلح ،ربما بنتيجة افتقاره إلى الدقة ،بعض الفضل في إبقاء مدلولاته موحدة ولو ضمن حد أدنى من التجانس ،إذ اجتمعت تحت عباءته اتجاهات شتى وأفكار متباينة وسمحت مرونته بجمعها كلها تحت تسمية (الأدب المقارن).[6]

هناك اتفاق عام على أن الأدب المقارن اكتسب اسمه من سلسلة من كتب المقتطفات الأدبية الفرنسية، التي كانت تستخدم في تدريس الأدب، ونشرت عام 1812م، تحت(عنوان مقرر في الأدب المقارن)، ولقد ذكر " رينيه ويلك ، في مقال يناقش فيه أصل هذه " التسمية، أن هذا العنوان لم يتم استخدامه أو تفسيره، ولكن ويلك ، أوضح أيضا كيف تسلل استعمال هذا المصطلح إلى فرنسا في العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر، واقترح أن التسمية الألمانية لهذا المصطلح " التاريخ الأدبي المقارن"، ظهرت لأول مرة في كتاب"موريس كاريير" في عام 1854، بينما أول استخدام له في الإنجليزية يعود إلى "ماثيو أرلوند" الذي أشار إليه بصيغة الجمع ،"الآداب المقارنة" في رسالة كتبها عام 1848م [7].

أما ظهور المصطلح في الوطن العربي فقد ظهر أول مرة عام 1936عند خليل هنداوي وكذلك فخري أبو السعود في مقالات لهما في مجلة الرسالة وهي ترجمة حرفية عن المصطلح الفرنسي. فقد نشر خليل هنداوي في مجلة "الرسالة" سنة 1936م دراسة حول تلخيص أبي الوليد بن رشد لكتاب أرسطو (فن الشعر)،ذكر فيها مصطلح "الأدب المقارن" بالعربية والفرنسية .(Littérature compare)، وكان فخري أبو السعود قد نشر دراسات منذ بداية الثلاثينيات ، في مجلة " الرسالة " قارن فيها مظاهر التشابه والاختلاف بين الأدبين العربي والإنكليزي في قضايا القصة و الخرافة وغيرها."[8]

ب- إشكاليات حول صيغة (المقارن): ويبدو أن مشكلات المصطلح التي واجهها رواد الأدب المقارن في الغرب،عاناها الاستقبال العربي للمطلح نفسه. من حيث طريقة صياغته أولا،أهو مقارِن (بكسر الراء)أم مقارَن(بفتح الراء) ؟ والحق أن المصطلح الفرنسي الأصلي la literature comparee مبني على صيغة اسم المفعول،فهو مقارن (بفتح الراء).أما التسمية الإنجليزية فربما كانت أقرب إلى المقصود لأنها يمكن أن تترجم بكلمة مقارني comparative إذ أنها صفة من المقارنة comparaison والأصح والشائع هو استعمال صيغة المفعو (مقارَن

---

[6] – المرجع السابق،ص 23.

[7] – سوزان باسنيت: الأدب المقارن مقدمة نقدية، تر مصر، /أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ، 1999،ص 17.

[8] – محمد عباسة،المدرسة العربية في الأدب المقارن،مجلة حوليات التراث،جامعة مستغانم،العدد السابع،سبتمبر،2017،ص 14،15.

) بفتح الراء،أما العامل في حقل الأدب المقارن فهو باحث مقارِن (بكسر الراء) مقابل كلمة comparatiste الفرنسية التي أخذها الإنجليز كما هي.

ثانيا: إشكالية مفهوم الأدب المقارن:

حاولنا في العرض السابق لإشكالية تسمية الأدب المقارن،أن نتجنب الدخول في مدلولاته، حتى وإن كانت مشكلة المصطلح هي مشكلة المدلول، ذلك أن الخلاف المصطلحي ليس إلا انعكاسا للاتجاهات المفهومية، وإذا كانت الإشكاليات التي طرحتها المناقشات والاتجاهات والانقسامات والمجادلات التي أثيرت حول تسمية الأدب المقارن قد تم تجاوزها بالاتفاق العام على التسمية الأصلية (الأدب المقارن) ،فإن المناقشات والاتجاهات الانقسامات والمجادلات حول مدلوله مازالت مستعرة، فحقل الأدب المقارن منذ نشأته الأولى، في أوائل القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، وهو حقل صراع من نوع خاص ، صراع مدارس وصراع تيارات وصراع قوميات...، وقد أشارت فرونسوا لافوكا إلى تقاطع الأدب مع الصراعات والرهانات الإيديولوجية بقولها:" ربما لا يوجد في حقل العلوم الإنسانية ،حقل انكب فيه الفاعلون بطريقة محمومة ومستأنفة على مناهجهم وشرعيتها أكثر مما حصل في الأدب المقارن" .

إذا، الأدب المقارن غول اصطلاحي بتعبير الفرنسي برونيل [9] P.BRUNEL، وهو بتعبير رينيه ويليك وأوستن وان اصطلاح متعب ، تنازعته تسميات كثيرة ومفاهيم متعددة لافتة باختلافها وعدم قرارها على تحديد موحد، فبالإضافة إلى صعوبة ضبط مصطلحه،هناك أيضا صعوبة في تحديد مفهوم هذا الحقل المعرفي الأدبي ،وعليه ظهرت عدة مفاهيم مختلفة ومتنوعة منها :

1- المفهوم الأول (الأدب الشفوي المقارن):

هو دراسة الأدب الشفوي و بخاصة موضوعات القصص الشعبي و هجرته، و كيف و متى دخل حقل الأدب الفني(المكتوب) الذي يُفترض أنّه أكثر تطورا من القصص الشعبي. و من الواضح أنّ دراسة الأدب الشفوي هي جزء متمّم لدراسة الأدب المكتوب، إذ ليس من الممكن الفصل بينهما، و التفاعل قائم بينهما. و هناك أصل شعبي لكثير من الأنواع و الموضوعات. و الحقّ أنّ كثيرا من الأفكار و الأنواع و الأذواق الأدبية انبثق عن الأدب الشعبي و الفلكلور كما أنّ كثيرا من قصص الجنّ و الخرافات و الأغاني الشعبية مستقاة من الأدب الفني/ المدوّن.

[9] - cf. BRUNEL .P ,Littérature comparée .dans , Mohamed BENAOUDA , La Littérature comparée à l'œuvre , Flites Edition , Medea ,2008,P.14.

لقد كان الهدف الأول لأصحاب هذا المفهوم ،هو البحث عن أصل الآداب الإنسانية،حتى يتعرفوا على الأفكار المشتركة بين شعوب وثقافات العالم والأفكار التي هي ملك خاص لشعوب بعينها .

نشير إلى أنّ هذا المفهوم للأدب المقارن ظلّ محصورا في أوربا الشمالية ولم يتجاوزها إلى المناطق الأخرى من العالم، وهو يمثل اليوم رافدا جزئيا من روافد المفهوم المقارني.

2- **المفهوم الثاني (التأثير والتأثر):** وهو المفهوم الذي ارتبط بالمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن ويعد المفهوم الأساسي الذي غلب على الأدب المقارن منذ نشأته.وجاء نتيجة للتوجه القومي التاريخي الذي كان متحكما في سير الدراسات المقارنة ، والذي منطلقه إثبات الهوية القومية ، من خلال التركيز على علاقات التأثر والتأثير بين أدبين قوميين أو أكثر، وعلى اعتبار مدلوله التاريخي " فهو يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة ،وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو في ماضيها ، وما لهذه الصلات من تأثير وتأثر"[10] والذي عادة ما يكون الأدب الفرنسي أحد طرفي هذه الدراسة المقارنة وقد تشدّد الفرنسيون في حصر الأدب المقارن بهذا الحقل و فرّقوا بين المقارنات الأدبية غير القائمة على الصلات و العلاقات، و بين الأدب المقارن الذي يعتمد على مفهوم التأثير و التأثّر من خلال الصلات الواقعية بين الآداب و الأدباء من بلدان مختلفة.

3-المفهوم الثالث (الأدب العالمي و العام): يحاول هذا المفهوم دراسة الأدب في شموليته وبذلك يكون هذا المفهوم قد جعل من الأدب المقارن مطابقا للأدب العالمي و كذلك للأدب العام.

فالأدب العالمي، هو مصطلح من وضع الشاعر الألماني غوته- و يعني أنّ الأدب ينبغي أن يدرس على اتساع القارات الخمس كلّها، و استعمل المصطلح ليُبشّر بزمان تصبح فيه كل الآداب أدبا واحدا. كما يحمل المصطلح معنى آخر : و هو الروائع العظيمة ذات السحر المستمرّ التي تجمع آثار دانتي و شكسبير و طاغور و ماركيز... لأنّها مقروءة في أنحاء العالم، و في كل عصر، و معترف بقيمتها الفنية و الفكرية. أما الأدب المقارن يعني شيئا آخر؛ فهو يدرس العلاقة بين أدب و آخر/ بين طرفين اثنين، في حين يدرس الأدب العالمي الأدب في عالمه الأرحب متجاوزا بذلك الاثنينية.

أما الأدب العام فيتناول الأبحاث المشتركة بين عدّة آداب إما في علاقاتها المتبادلة وإما في مطابقتها و الأدب العام مخصّص لدراسة تطورات في عدد أكبر من البلدان التي تُشكّل وحدة عضوية؛ الأدب العام يتناول ظاهرة أوسع رقعة لكنها أقصر مدة.

---

[10] – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن،نهضة مصر للطباعة والنشر،ط3،أكتوبر 2004،ص 13.

4- المفهوم الرابع (اتجاهات معاصرة): وهو المفهوم الذي ارتبط بالمدرسة الأمريكية في الأدب المقارن من خلال التوسّع في مفهومه ليشمل المقارنة بين الآداب المختلفة مع التجاوز عن شرط وجود علاقة تبادلية بينها، وهو المفهوم الذي يسند إلى الأدب المقارن مهمة دراسة العلاقات بين الأدب و فروع المعرفة الأخرى، ولاسيما في مجال الفنون والعلوم الإنسانية، إنّه عندهم مقارنة أدب معين مع أدب آخر أو آداب أخرى، و مقارنة الأدب بمناطق أخرى من التعبير الإنساني.

ويطالب هؤلاء بأن تتوسّع نظرة الأدب المقارن لتشمل البحث عن المشابهات في الأفكار الأدبية و في الذوق الجمالي، لأنّه بغير ذلك لا يكون الأدب المقارن فعالية حية مرتبطة بقضايا العصر. و هم لا يشترطون وجود علاقة تاريخية أو تأثر و تأثير في منطقة الأدب المقارن ، إنّما يعتبرون المشابهات الجمالية و الذوقية أساسا للبحث و وسيلة لاكتشاف العنصر المشترك على مستوى الإنسانية.

ومهما يكن فإن أي تعريف للأدب المقارن من طرف المختصين في الحقل، هو تعريف من منظور خاص.فالأدب المقارن في المحصَلة هو حلقة بحث أكاديمي حديثة النشأة.إنه وليد القرن التاسع عشر،وإن كانت المقارنة كإجراء نقدي ظاهرة قديمة – قدم الثقافات–

ثالثا– الإرهاصات :

من الطبيعي أن يسبق ظهور أي علم من العلوم إرهاصات تمهد لظهوره وتكون سببا في نشأته وتطوره، والأدب المقارن –بوصفه علما له اجراءاته وتقنياته ومجالاته– سبقته وجود ظواهره المختلفة في الآداب العالمية ،أي تحقق التأثير والتأثر بين الآداب ، ولعل أقدم ظاهرة في تأثير أدب في أدب آخر ،وأعظمها نتائج في القديم، ما أثر به الأدب اليوناني في الأدب الروماني ففي عام 146 قبل الميلاد احتل الرومانيون اليونانين عسكريا فهزموها، لكن هذا الاحتلال العسكري لليونان قابله احتلال عكسي تمثل في احتلال اليونانيين للرومانيين ثقافيا وأدبيا،وأصبحت روما مدينة لليونان في فلسفتها وفنها ونزعتها الإنسانية وأدبها كله. ،وعكف الرومان يحاكون أمثلة اليونان في كل شيء ويسيرون على أثرهم ، رغبة منهم في نهضة الأدب اللاتيني، فلم يكن للأدب اللاتيني من أصالة تذكر يستقل بها عن تأثير الأدب الإغريقي،فيما عدا ما ذكره مؤرخو الفكر الإنساني مما قد يكون من جنس التاريخ والخطابة.

ولكن الذي يهمنا هنا ،أن ظاهرة التأثير والتأثر بين الأدبين قد" أثمرت لدى النقاد اللاتينيين ماكان نواة نظرية (المحاكاة) في عصر النهضة الأوروبية ، وهو معنى آخر للمحاكاة يغاير المحاكاة التي دعا إليها أرسطو حين أرا د أن يبين الصلة بين الفن بعامة وبين الطبيعة، فللشاعر –عند نقاد الرومان– أن يحاكي العباقرة من شعراء الإغريق ،يقول الشاعر الروماني (هوراس)11(85-8ق-م) في (فن الشعر) :"اتبعوا أمثلة الإغريق ،واعكفو على دراستها ليلا ،واعكفوا على دراستها نهارا "وفي هذا اعتراف منه بأن محاكاة اليونانيين في أدبهم مثمرة، على ألا تمحو أصالة الشاعر.

وتبعا لهذه النظرية التي أسست للمحاكاة ،كان النقاد والمؤرخون الرومانيون يقارنون بين هؤلاء الكتاب ونماذجهم من اليونانيين بما يعد صورة ساذجة للمقارنة .

كما يمكن أن نعد المحاولات الأولى في نشأة الأدب المقارن،ترجع إلى جهود "جماعة الثريا"الفرنسيين الذين اتخذو من نظرية المحاكاة وسيلة لإغناء اللغة الفرنسية،وتعد دراسات الشاعر الناقد(دورا) (1508- 1588) من أقدم ماعرف في الدراسات المقارنة المثمرة،كما أن رؤية الناقد (دي بلى)(1522-1560) أنه لابد للشعراء من الرجوع إلى نصوص الآداب القديمة بأنفسهم وهضمها،وأن الترجمة لا تغني عن الأصل شيئا،حتى لو كانت أمينة وفية للأصل المترجم عنه،لأنه لاسبيل إلى نقل الخصائص الأدبية عند الترجمة ."[12]

وقد اتجهت الدراسات الأدبية بتأثير نظرية المحاكاة إلى النقد الأدبي ووضع قواعد الفنون الأدبية المختلفة في ضوء صياغة الأقدمين لنماذجهم الأدبية,وبهذا التأثير الذي امتد إلى التطلع إلى غير الآداب القديمة"تعرض بعض النقاد لدراسة تلك الصلات الأدبية الدولية ،كما فعلت مدام دي سكوديري،حين لامت الشاعر كوربي على سرقته مسرح–

رابعا– النشأة وأسبابها:

تعود نشأة الأدب المقارن إلى القرن التاسع عشر الميلادي،ويرى العديد من الدارسين أنه بالرغم من المحاولات المقارنية العديدة بين الآداب في السابق،إلا أن ملامح هذا العلم بمدلولاته الحديثة،لم تظهر إلا سنة 1827، في فرنسا، على يد "آبيل فيلمان" -Abel Villemain (1790- 1867) في كتابه (صورة القرن الثامن عشر) الذي

---

[11] – شرح الناقد الروماني (كانتليان) نظرية المحاكاة بعد هوراس وخطا في شرحها خطوات واسعة التي كانت ذات أثر بعيد المدى لدى النقاد حتى الكلاسيكية،فجعل لها قواعد عامة...

[12] – أحمد محمد علي حنطور،في الأدب المقارن، نحو تأصيل مدرسة عربية في المقارنة،مكتبة الآداب،القاهرة، ط 2 ،2008،ص 38.

صدر عام 1827 م، وأخذ منذ ذلك التاريخ يلقي محاضراته بجامعة السربون بباريس حول علاقات الأدب الفرنسي مع الآداب الأوروبية الأخرى.إذ تناول مثلا التأثيرات المتبادلة بين الأدبين الفرنسي والإنكليزي، وكذلك أثر الأدب الفرنسي في إيطاليا في القرن الثامن عشر، والجدير بالذكر أن "فيلمان" استخدم مصطلح " الأدب المقارن " وإليه يعود وضع الأسس الأولى لهذا الفرع المعرفي الأدبي"13 وكان هدفه من وراء ذلك تقديم صورة عن ما تلقته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية ، وما أعطته لها من أجل كتابة تاريخ أدب شامل لفرنسا.

ومن المؤرخين من يرجع نشأة الاهتمام بالأدب المقارن في فرنسا إلى القرن التاسع الميلادي ويتابع هذا الاهتمام في القرن الثاني عشر والسادس عشر والسابع عشر. والواقع أننا لو أخذنا نبحث عن بدايات كل علم من خلال التلميحات الغامضة القديمة له لوجدنا أن جميع العلوم قديمة جدا ،لأن أصولها المبدئية موجودة في التجربة الإنسانية والحاجة الإنسانية إلى العلم ولكن ما نحن بصدده الآن هو تتبع النشأة الأولى للأدب المقارن بوصفه علما حديثا.14 وربما كانت البذرة الأولى لهذه النشأة في كتاب (عن ألمانيا) (لمدام دوستال15 Destaal الذي نشرته عام (1810) الذي قدمت فيه الأدب الألماني إلى الفرنسيين ،وانتقدت أولئك الذين لا يهتمون بدراسة الآداب الأجنبية،ودعت إلى تقدير آداب الآخرين ودراستها في لغاتها الأصلية تقول في كتابها:" لابد للأمم أن تتواصل فيما بينها وتهدي إحداها غيرها،ومن الخير للأمة أن ترحب بالأفكار التي ترد إليها من الخارج، فإن الأمة المضياف في هذا الخصوص هي التي تغنم أكبر الغنم"16 وكان لقولها هذا ،الذي تضمنه كتابها ،أثره الكبير في الرأي الفرنسي المثقف، فقد مد واحدا من أوائل الجسور الفكرية والاجتماعية بين بلدين أوربيين متجاورين ،لم تكن العلاقة بينهما دائما على مايرام. ورغم دعوتها إلى الخروج من نطاق الأدب الواحد ،"غير أنها لم تعن بدراسة صلات الآداب بعضها البعض في نطاق نفوذها وتأثيرها ،على نحو ماهو مفهوم من الدراسة الحق للأدب المقارن"17

---

[13] – ينظر ،حسام الخطيب، مرجع سابق، ص91.

[14] – ينظر، المرجع نفسه ،ص 94.

[15] – أكبر داعية للحركة الرومانسية في فرنسا،اشتهرت بسعة اطلاعها على الآداب الأجنبية عامة والأدب الألماني خاصة .

[16] – حسام الخطيب، مرجع سابق ،ص 94.

[17] – محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن،مرجع سابق،ص 47.

وهذا ما يؤكد أن محاولات المقارنة بين الآداب الأوروبية ودراسة العلاقات المتبادلة فيما بينها ظهرت قبل فيلمان بسنوات عديدة ، وقد شهد القرن الثامن عشر بعض المحاولات من هذا النوع نتيجة لعوامل وأسباب مختلفة ،يأتي في مقدمتها:

– ظهور اتجاه قوي إلى العالمية متجاوز لحدود الأمم ولنزعات التفرد والانعزالية ، وقد تجلى هذا الاتجاه في فكرة التخلي عن ادعاء تفوق أدب ما،على آداب أخرى،لصالح الاعتقاد بأن الآداب الأوروبية هي حصيلة تفاعلات مشتركة عميقة،وأن الإبداع الأدبي تجربة مشتركة غير مقصورة على أدب دون أدب، ويعتبر فولتير وروسو وديدرو وغوته من أوائل المبشرين بالروح العالمية في مجال الثقافة والأدب.وبالطبع تعتبر الدراسات الأدبية المقارنة أفضل تعبير عن هذه الروح.

– دور الاتجاه الرومانسي في تطور تاريخ الأدب والنقد الأدبي وانعكاسات ذلك على نشأة الأدب المقارن، من خلال طرحه لتصور يقضي بكون الأدب هو اتجاه إنساني شامل معني بالتجربة الإنسانية أينما كانت،ومتجاوز لحدود الأمم واللغات.

– اتساع الأفق الأدبي لدى الباحثين نتيجة ازدياد الصلات الثقافية بين الشعوب الأوروبية ،وبدء تعرف كل شعب بأدب الآخر،عن طريق الترجمات أو المعرفة المباشرة للغات الأجنبية.

– نشأة فروع جديدة من المعرفة تعتمد على المقارنة مثل:(علم الحياة المقارن)و(علم التشريع المقارن) و(علم اللغة المقارن) و(علم الميثيولوجية المقارن) مما أثر على حقل الدراسات الأدبية وجعل الباحثين الأدبيين يشيرون إلى ضرورة ظهور(علم أدبي مقارن)، وكان في مقدمتهم (ادجار كينيه Edgar quinet) الفرنسي الذي كان أول من اقترح ظهور (الأدب المقارن) على قياس العلوم الأخرى المقارنة.

– تأثير المكتشفات العلمية في حقل العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع،وعلم النفس، والتاريخ... وتعتبر فرنسا المهد الأول للأدب المقارن ولذلك عوامل لغوية وسياسية واجتماعية وثقافية أهمها:

– أن المناخ الثقافي الفرنسي كان مستعدا منذ العصر الكلاسيكي لممارسة البحث الأدبي المعمق في تلك الفترة،لاسيما بعد أن تعاقب على فرنسا حكام اهتموا بالعلم والثقافة وعملوا على جعل فرنسا مركز إشعاع ثقافي في أوروبا.

– تنبه الفرنسيين قبل غيرهم من الأوربيين إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبين المناطق الأوربية الأخرى، مما خلق الأساس الأول للتفكير في الأدب المقارن.

– الرغبة الشديدة للفرنسيين في استرجاع مكانة فرنسا الثقافية الماضية،من خلال بسط السيطرة الثقافية على مستعمراتها في البلدان الإفريقية.

بعد " فيلمان " أتى جان جاك أمبير – J.J.Ampère الذي ألقى عام 1830 محاضرات في الأدب المقارن لفتت إليه الأنظار مما أدى إلى الانتقال من "مرسيليا" إلى السوربون حيث كان يلقي محاضرات حول الأدب الفرنسي، وعلاقاته بالآداب الأخرى في العصور الوسطى.

وكان "جوزيف تكست– j. Texte أول من كتب دراسات عميقة في الأدب المقارن جمعها تحت عنوان "دراسات في الآداب الأولى " سنة 1898 م وكان لها أثر قوي في نمو الأدب المقارن.

وبعده جاء "فرناند بالد نسبرجير– F. Baldensberger الذي ألّف كتابه " غوته في فرنسا" سنة 1904، ثم عُيّن أستاذا في السوربون حيث أحدث كرسيا للأدب المقارن سنة 1910.

وفي سنة 1903 انعقد بباريس مؤتمر عالمي جمع أساتذة الأدب في فرنسا وخارجها حيث بحثوا في موضوع التاريخ المقارن للآداب؛ وقد دعوا في هذا المؤتمر إلى دراسة التراث الشعبي و الأساطير والخرافات جنبا إلى جنب مع الأدب، كما أكدوا على ضرورة المقارنة بين مختلف الآداب الأوروبية. و بهذا كانت فرنسا سبّاقة إلى إنشاء هذا الفرع المعرفي...

أما في بريطانيا: فقد ظهر أول كتاب في الأدب المقارن ما بين عامي 1837–1839 في أربع مجلدات بعنوان : " مقدمة لدراسة الأدب الأوروبي في القرن الخامس عشر و القرن السادس عشر والقرن السابع عشر" لهنري هالام– Henry Hallam. ويعتبر الشاعر و الناقد الإنجليزي" ماثيو آرنولد – M.Arnold أوّل من جارى الفرنسيين في استخدام مصطلح الأدب المقارن.

أما في ألمانيا: فكان الأدب المقارن فرعا من تاريخ الأدب وكان دانيال مورهوف– D. Morhof أوّل من تنبّه إلى أهميته في الدراسات الجامعية و أول من أدخله في المناهج الدراسية تحت اسم " تاريخ الأدب العام "، وظل الحال على ما هو عليه حتى نهاية القرن التاسع عشر. ولم يتفرغ الألمان لدراسة الأدب المقارن إلا بعدما أشبعوا أدبهم القومي دراسة وبحثا، ولم يدخل الأدب المقارن إلى الجامعة إلا في سنة 1887 على يد ماكس كوخ– Max kochالذي نشر أول عدد من مجلة " الأدب المقارن ".

مع مطلع العشرينيات كانت مختلف الجامعات الفرنسية تُقبل شيئا فشيئا على تخصيص كراسٍ للأدب المقارن من جهة، ونشر البحوث المنهجية من جهة أخرى. ففي حوالي 1910 سارعت جامعة السوربون إلى إنشاء كرسيٍّ ثانٍ للأدب المقارن. وفي 1911 بدأ بول فان تييغم –Paul van Tieghem بحوثه المنهجية في الأدب المقارن التي كُلّلت بنشر كتاب «التركيب في التاريخ الأدبي» و «الأدب المقارن والأدب العام» سنة 1921 . وفي عام1931 نشر كتابه " الأدب المقارن " الذي ظل مرجعا أساسيا في علم الأدب المقارن لمدة طويلة.

وتتابعت المؤلفات الفرنسية منهجا وتطبيقا ففي سنة 1951 نشر ماريوس فرانسوا غويار كتابه (الأدب المقارن). و في الفترة نفسها –أي في الخمسينيات من القرن العشرين– ظهرت رؤية جديدة للأدب المقارن كان من روادها: إيتيامبل وبيشوا و روسو و برونيل ... فنشروا جملة من الأعمال عكست رؤيتهم المتطوّرة و خطت بفضلها الدراسات المقارنة خطوات لافتة.

خامسا– تطور الدراسات المقارنة:

1– الدراسات المقارنة في أمريكا: التفت الأمريكان إلى الدراسات المقارنة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وأول من أدخل هذه المادة إلى الجامعات الأمريكية القس تشارلز تشاونسي شاكفورد – (Charles Chauncy Shakford) . وقد أنشئ أول كرسي للأدب المقارن في أمريكا في السنة الجامعية 1890/1891 في جامعة " هارفارد – Harvard.

وفي سنة 1904 أنشئ قسم كامل للأدب المقارن بالجامعة نفسها، وتولى رئاسته سكوفيلد – Schofieldالذي أسس مجلة أسماها " دراسات من هارفارد في الأدب المقارن"عام 1910.

وفي سنة 1942 أنشأ آرثر كريستي – Arthur Christyلجنة للأدب المقارن، تعمل على تشجيع ما أسمته بـ: الأدب العام، وإدراجه ضمن البرامج المقررة على طلبة المدارس والكليات والجامعات.

وفي سنة 1961 ظهرت أول مجموعة من المقالات المتخصصة في الأدب المقارن وجمعت في كتاب واحد تحت عنوان " الأدب المقارن " منهجه وآفاقه.

وقد ظل الاتجاه التطبيقي هو الغالب في المؤلفات الأمريكية في الأدب المقارن، ولعلّ أهم بحث في هذه المرحلة هو كتاب " نظرية الأدب " "لأوستين واران" و "رينيه ويلك "، الذي نشر سنة 1971. ثم نشر شولتز

كتابه الأدب المقارن كنظام أكاديمي عام 1978. كما شهدت المرحلة نشاطا كبيرا لـ "هنري رماك – Henry Remak في هذا المجال.

وفي الثمانينات بدأ الأمريكان يخرجون من دائرة الآداب الأوروبية نحو الآداب الأخرى كآداب أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا...

وأهم ما يميز أمريكا في هذا المجال وفرة المنشورات السنوية التي تصدرها الجامعات والروابط الأدبية منذ سنة 1958 كالكتاب السنوي للرابطة الدولية للأدب المقارن. كما كان الأمريكان ينشطون كثيرا ضمن مؤتمرات الأدب المقارن فقد استضافت الولايات المتحدة الأمريكية المؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن سنة 1958 في جامعة كارولينا الشمالية والمؤتمر العاشر لهذه الرابطة الذي انعقد سنة 1982 بنيويورك.

2-**الدراسات المقارنة في أوربا الشرقية:** لم تتقبل بلدان أوروبا الشرقية الأدب المقارن حتى كمجرد فكرة. وبعد المرحلة الستالينية حدث انفتاح نسبي في الثقافة والأدب أفاد منه الأدب المقارن نسبيا، إذ افتُتِح قسم للأدب المقارن في معهد الأدب الروسي في لنينغراد. ومع ذلك ظل الأدب المقارن على الهامش في هذه الرقعة الجغرافية رغم شدة اعتناء هذا الوسط بالآداب الأجنبية حيث كانت تصدر في الاتحاد السوفيتي مجلتان موسومتان بـ: الآداب الأجنبيةواحدة في موسكو و الثانية في كييف ولكن لم تشيرا إطلاقا لمسائل الأدب المقارن. وفي الستينيات ظهر انفراج نوعي نسبي في حقل الأدب المقارن ،ونشطت محاولات لجمع شمل المقارنين الاشتراكيين في إطار ندوة بودابست سنة 1962 وندوة برلين سنة 1966.

وبذلك يمكننا القول أن القارة الأوروبية كانت أول من احتضن الأدب المقارن،حيث " اكتمل مفهومه وتشعبت أنواع البحث فيه،وأصبحت له أهمية بين علوم الأدب لا تقل عن أهمية النقد الحديث،بل أصبحت نتائج بحوثه عماد الأدب والنقد معا."[18]

3- الدراسات المقارنة في آسيا: تتجه الدراسات المقارنة بخطى ثابتة نحو العالمية ولم تعد حكرا على أوروبا الغربية و أمريكا؛ وأثناء فترة السبعينيات والثمانينيات نشطت حركة ترجمة مقارنة في بلدان آسيا وأفريقيا، كما أنشئت فروع الرابطة الدولية للأدب المقارن في العديد من بلدان آسيا ومن أهمّها " الصين" حيث تتصاعد أصوات قوية لصالح الأدب المقارن في منظمة عُرفت دائما بعدم ترحيبها بالانفتاح على العالم، وفي ظل هيمنة أيديولوجية للحكم

[18] – محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن، مرجع سابق،ص 20.

على المؤسسات الثقافية والتعليمية. وإلى جانب الصين هناك جامعات تايوان التي تصدر دوريات أدبية باللغة الانكليزية تظهر اهتماما متزايدا بالأدب المقارن وكذا كوريا الجنوبية.

4– الدراسات المقارنة في الهند :على الرغم من تفتحها التقليدي على الكتلتين الشرقية والغربية فإنّ انشغال باحثيها بالقضايا الداخلية للعلاقات بين اللغات والآداب في شبه القارة الهندية صرفها عن الإسهام المنتظر في الأدب المقارن.

5– الدراسات المقارنة في اليابان، والتي تستحق وقفة خاصة لأنها أخذت منذ السبعينيات تحتضن تطورات مقارنة مهمة، ومن أبرزها: دخول الأدب المقارن نسبيا إلى الجامعات اليابانية، وظهور بعض المؤلّفات اليابانية بهذا العنوان، ونشاط الرابطة اليابانية للأدب المقارن في الساحة الدولية. وأتى عقد المؤتمر الثالث عشر للأدب المقارن في طوكيو في 1991 دليلا على خروج الرابطة الدولية من البوتقة الغربية.

أسئلة التقويم الذاتي :

- **ماهي المصطلحات المتعددة التي اقترحت كبديل– في وقت مبكر– لمصطلح الأدب المقارن؟**
- **ماهي العوامل التي جعلت من فرنسا المهد الأول لنشأة الأدب ؟**